المنطق الطبيعي والقاسم المشترك بين النّظريات الحجاجيّة

أ/لعناني عزالدين
جامعة سطيف2

الملخص: إنّ متابعة النظريات الحجاجية -اللّسانية والمنطقية والبلاغية والفلسفية- متابعة تتغيّا إحداث التوافق بينها، تكون متابعة لاكتشاف قواسمها المشتركة؛ فتحلّل النتائج وتغض النظر عن مراكز الانطلاق والمرجعيات. فالذي يحلّل نتائج النظريات هاته يجد مواطن التداخل إذ؛ توجد وبنسبة كبيرة قواسم الاشتراك، ومن بين هاته القواسم؛ أنّها تنهل من التشكل المنطقي اللانسقي، وترتبط بخطابة وجدل أرسطو قديما، وتحاول استخدام اللّغة جميعا في قالب حجاجي، وأنّها كلها نظريات مبنية من أجل المتلقي ومتمركزة حول اللّوغوس... واللافت للانتباه من هاته القواسم هو المنطق اللانسقي/ منطق الخطاب الطبيعي الذي تحاول هاته النظريات بناء نموذجها وفقه.

الكلمات المفاتيح: الحجاج اللّساني، الحجاج البلاغي، الحجاج الفلسفي، الحجاج المنطقي، اللّسانيات، المنطق الطبيعي، المنطق الصوري، اللّغة.

مقدمة: اكتسحت أجهزة الميديا مجالات الحياة، وأصبح المجتمع المعاصر يوصف بعصر الثورة الميديائية ذات البعد الاجتماعي الذي يضمن المشاركة للجميع بإثارة حججهم ومعلوماتهم...إلى حدّ اعتبر فيه الفيلسوف (طه عبد الرحمان) بأنّه "لا تواصل بغير حجاج". وأضاف (العزاوي) "ولا حجاج بغير تواصل"، فالحجاج والأمر كذلك اكتسح باكتساح الميديا جميع الفضاءات...، وعليه انطلق علماء اللّسانيات يجعلون اشتغالهم العلمي اللّساني يضع مبدأ التواصل الحجاجي مبدأ منهجيا أولا وأساسيا لإقامة الأجهزة الواصفة للّغة، فأبدع علماء الحجاج اللّساني تنظيرات ونماذج تقنية (وهي كثرة) عبرت على أنّ الحجاج مركوز في بنية اللّغة ذاتها، وهاته البنية لها منطقها الخاص المتمثل في المنطق الطبيعي، وعليه نعمل في بحثنا هذا على إيجاد القاسم المشترك بين النظريات الحجاجية اللّغوية وفقا لمنطقها(المنطق الطبيعي).

من الالتصاق بين الحجاج والتواصل اندرجت العلوم الاجتماعيّة في إشكالية التأثير بصفة عامة، بل أصبحت تثير إجابات مقاميّة نسبيّة محدّدة في إطار علاقة التواصل بالحجاج فـ: "لا تراهن ...على صيغة حقيقي أكثر من صيغة اعتقاد أنّه حقيقي. لم نعد نراهن على القوة المنطقية للحجج أكثر من قوة إقناعها. لا نبحث عن دليل مطلق يحيل على الكلي بقدر ما نبحث عن صحة ظرفية في الإطار المحيط والوضعي. طبعا هذه الجوانب المختلفة تتعايش

لأنّه يتعذر على أيّ مجتمع كيفما كان ألاّ يعتقد قيّم مطلقة ولكن من اللافت للنّظر أن تنشأ لعبة الأقنعة في مجتمعاتنا المعاصرة بين الحقيقة المطلقة والحقيقة النسبية ، ليس على تحليل الخطاب أن يجعل موضوعه هو الكشف عن الحقيقة ، وإنّما عليه كشف آليات تفضيل الحقيقة نحو اعتقد وجعل يعتقد ، وهو ما أسميه إشكال التأثير"(العربي وآخرون ،د.ت ص293). وعليه نعمل تاليا على توضيح المنطق النسبي الحامل للإشكالية التأثيرية والمسؤول عنها.

منطق خطاب اللّغات الطبيعية: إنّ هذا الأمر الذي منذ قليل أي نسبية الحجج دعا علماء اللّغة الحجاجيين إلى تأسيس منطق للخطاب ، أي المنطق اللاصوري. المنطق المبني على تقديم الحجج التأثيرية المقبولة غير الملزمة. والمنطق هذا هو الذي يقدّم مفهوما للحجاج على اعتبار أنّ المفاهيم تصاغ تبعا لمنطقها. ويعد منطق الخطاب الطبيعي لبيرلمان دليل التشكل الحجاجي المعاصر: وهو:

منطق القيم عند (شايم بيرلمان): في الاستخدام اللّغوي حسب (بيرلمان) تمنح: " العبارة الواحدة معان متعدّدة ، وفي بعض الأحيان معان جديدة تماما ، وإمكانية الرجوع إلى الاستعارات واعتماد التأويلات المتناقضة ، هو أمر مرتبط بشروط استخدام اللّغة. إنّ كون هذه اللّغة تتوسل عادة بمفاهيم غامضة تفسح مكانا لتأويلات متعدّدة ولتحديدات متغيّرة يضطرنا غالبا إلى إجراء اختيارات وقرارات ليست متطابقة بالضرورة. من هنا وجب في غالب الأحيان تبرير هذه الاختيارات وتعليل تلك القرارات "(المتني وآخرون2010 ، ج05 ،ص193).

ويدعم (بيرلمان) هذا الأمر بمثال من النصوص القانونيّة المستعملة لغويا يقول: "في مجال القانون نجد القاضي ، وعلى خلاف ما يجري في النسق الصوري ، مضطرا إلى اتخاذ القرارات وتعليلها في الوقت نفسه ، فالمادة الرابعة الشهيرة من مدوّنة نابليون تعلن أنّ القاضي الذي يرفض أن يحكم بحجة سكوت النص أو غموضه أو عدم الكفاية القانونية سيصبح ملتبسا بتهمة الامتناع عن الحكم. وحينما يظهر له النص عند النظرة الأولى حاملا ثغرة أو تناقض أو التباس ، فعليه أن يؤوّل النسق باعتماد تقنيات الاستدلال القانوني بكيفية تمكّنه من إيجاد الحل وتعليله. إنّنا في كل هذه الحالات نجد أنفسنا مضطرين للعودة إلى غير المنطق الصوري كمنطق يبرّر الحكم ، ويمكّن من حل التناقض ، واتخاذ القرار المناسب" (المتني وآخرون ، 2010 ،ج05 ، ص193) ، خاتمة هذا القول ، وبمثالها القانوني ذي الحجّة اللّغوية ، تعلن ميلاد منطق غير صوري ، يختلف تمام الاختلاف عن المنطق الصوري. وعليه فبرلمان ينسب أو يحدّد مجال المنطقين ، فيرى بأنّ المنطق الصوري مجاله الظاهرة البرهانية ، في حين نجد أنّ المنطق غير الصوري مجاله الظاهرة الحجاجية يقول (بيرلمان): "إذا كان المنطق الصوري هو منطق البرهان فإنّ المنطق غير الصوري هو منطق الحجاج"

(المتني وآخرون ،2010 ،ج05 ،ص193) فالأمر لا يتعلق: "في الحجاج كما في البرهان ببيان كون قيمة موضوعيّة كالصدق تنتقل من المقدمات إلى النتيجة ، بل ببيان أنّنا قادرون على الظفر بقبول السامعين لمعقوليّة ومقبولية قرار من القرارات" (المتني وآخرون 2010 ، ج05 ،ص 193).

ويزداد الفرق وضوحا ، حين نجد بأنّ إواليات الحجاج/المنطق غير الصوري ، تكون إواليات مقبولة لدى السامعين ، وتعوّد الناس قبولها "(المتني وآخرون ، 2010 ج05 ،ص194/193).

وقد أورد (رشيد الراضي) ستة فروق بين المنطق الصوري والمنطق غير الصوري كروائز يقول مفصّلا فيها على التوالي: "إنّ العبارات التّي ترد في المصوغات البرهانيّة توجد مستقلة بعضها عن بعض ، وتتآلف فيما بينها على أساس جملة من العلاقات الصورية الصارمة ، دون مراعاة للقيّم الداخلية التّي تتضمنها هذه العبارات (معانيها إحالاتها الخارجية)... بخلاف ذلك تتميّز العلاقة الحجاجيّة التي تنشأ في الخطاب الطبيعي ، بأنّ تعالق الملفوظات فيها يستجيب لاعتبارات داخلية محضة ، مرتبطة بطبيعة الملفوظات ومعناها ذاته ، أي أنّ المحتوى يلعب دورا حاسما في الانتقال بين الوحدات في العملية الحجاجية ... في الاستدلال البرهاني يكفي إيراد دليل واحد لتكون النتيجة مثبتة أو منفية ... بخلاف ذلك يتميّز الاستدلال الحجاجي بأنّ عدد الحجج التي يتألف منها لا يكون محدّدا... يتميّز البرهان باستقلاله التام عن الذات الإنسانية وما يتعلق بها ، فالأصل في البناءات البرهانية أنّها جملة من العلاقات الموضوعية القائمة بذاتها والمستندة على قوانين عامة تستمدّ قوّتها من ذاتها وتفرض سلطتها على غيرها... بخلاف ذلك لا يكون للعلاقة الحجاجيّة أي معنى إذا لم تستحضر سياق تداولها الإنساني الخاص... يتميّز الحجاج بارتكازه على ما يسمى بالمواضع والمواضع هي مجموعة من القيّم والمعايير والعلاقات المتميّزة بطبيعتها الظنية واللايقينية ولكنها مع ذلك تتمتع بشهرة ومقبولية لدى عامة الناس نتيجة توافقها مع الحس القويم المشترك ، إنّ هذه المواضع تقوم في الحجاج مقام القوانين والقواعد العقليّة الضرورية التي يقوم عليها الاستدلال في المصوغات البرهانية (المقدمة الكبرى في القياس) ،...هناك خاصية أخرى تميّز الحجاج عن البرهان ، وهي متفرعة عن الخاصية السابقة ، فقد قلنا إنّ الموضع المشترك قاعدة عامة يقبل بها أغلب الناس وليس كلهم ، ويرجع ذلك إلى طبيعته الظنية المتحصلة من مرجعيته القيمية والثقافية النسبية المتغيرة بحسب المقامات والسياقات والعوائد والظروف والأحوال ، من هنا كان الحجاج الذي يشكّل الموضع قاعدته مفتوحا دائما على الاعتراض وقابلا باستمرار للدحض والتفنّيد والمنازعة فكل عملية حجاجية يمكن مواجهتها بعملية حجاجية معارضة تتأسس على مواضع معاندة تعكس مرجعيات قيميّة

مغايرة ، وهذا بخلاف البرهان الذي يكون ملزما على الدوام لطبيعته اليقينية الكلية... ممّا جعل الخطاب الحجاجي يقبل الورود في صورة ضمنية عكس البرهان الذي يلزم فيه التصريح بكل مكوناته" (الراضي وآخرون ، 2010 ، ج01 ، ص192/185).

وهذا المنطق يشيّده (بيرلمان) من أجل المستمع الأفضل ، المستمع العنود والمحقّق في القضايا يقول (بيرلمان): "فأفضل الحجاج هو ما استطاع إقناع المستمع الأكثر تحقيقا والأشد انتقادا والأفضل اطلاعا مثل الآلهة أو العقل الإلهي ، لذا فالحجاج الفلسفي يقدّم نفسه كنداء للعقل ، وهو ما عبّرت عنه في أدبيات اللّغة الحجاجية أو الخطابة الجديدة ، بكونه خطابا يتوجه إلى مستمع كوني. فالحجاج العقلاني يتّصف بقصدية كونيّة تتوخى الإقناع ، أي استمالة المخاطب كان هذا سببا رئيسا مباشرا لبيرلمان وتيتيكا لكتابة مشروع نظرية الحجاج ؛ فقرون البداهة يجب أن توّلى. ويفتح المجال لعصر الإشهار وتسيير المعلومة والدعاية لكي تأخذ حقها بطريقة مقننة (Perlman,Tyteca,1992,p05/06)

القاسم المشترك بين النظريات الحجاجية ذات المنطق الطبيعي: فانطلاقا من(شايم بيرلمان) وبعد ذلك مع علماء كبار أمثال (أوزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر) وصولا إلى (ميشال مايّير) وآخرين... ظلت البحوث تكافح من أجل ضبط المنطق الحجاجي وتحقيق الشرعية له ، بإنتاج المفاهيم الحجاجية وهي إذ تفعل ذلك فإنّها تستجيب لمنطق خطاب اللّغات الطبيعية الذي هو بدوره يستجيب للمشهد السوسيوتاريخي الحديث/ المشهد التأثيري ممثلا في وسائل الإعلام بصفة أخص.

وعليه يبات ضروريا أن نتعرف على مفاهيم الحجاج المنبثقة عن الإشكالية المنطقية التّي منذ قليل ، والتّي هي مفاهيم تتأرجح بين الحقيقة المطلقة والنسبية المطلقة.. وللتنبيه سنركز على ما أورده (ميشال مايير) لأنّه عندما طرح مناولته الحجاجية طرحها في إطار مناولة (بيرلمان ودكرو) محرضا أو موجها إيّاها بعنصر المساءلة الذي يمسّ اللّغة في أيّ مجال: فهو الذي استثمر: "الجهود الفلسفية واللّسانية ... بوضع الحجاج في إطار نظرية أوسع هي نظرية المساءلة (Theorie du questionnement) "(صولة ،2007 ،ص21)، وعليه يكون (شايم بيرلمان وألبريخت تيتيكا"و" أزوالد دكرو وجون كلود أنسكومبر" و"ميشال مايير") ومدرسيوهم ، هم على الأقل المحلّلين اللّغويّين للظاهرة الحجاجيّة ، والحجاج الذي يحصراه هو كسب ميل النفوس عن طريق اللّغة/ الخطاب التأثيري ، فالذي يرسل المثال دون أن يقول أي شيء ، أو الذي يلاطف أو يلطم أو الذي يمارس دعاية كما هو صورتها في القرن العشرين ، يمكنه أن يحقق نتيجة ، لكنّهما لا يهتما بهذا إلا إذا تمّ ذلك بالاعتماد على اللّغة (perlman, Tyteca,1992,p10)، ولذلك نجدهما يدعوان المناطقة لإكمال نظرية الحجاج اللّغوي ، فقد دعيا لدراسة وسائل التدليل في العلوم الإنسانية والقانون والفلسفة ، وذلك

بدراسة الحجاجيّات كما هي مقامة عند أهل الدعاية في الصحف والخطابات والمرافعات والفلسفات" (Perelman, Tyteca, 1992, p13.). وأهمّ غاية يرمي إليها المؤلفان هو التأسيس للمعقوليّة والحرية في الاختيار، فحجاجهما هو المقزم للعنف يقول (صولة): "فالحجاج عندهما معقولية وحرية، وهو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاورة، ومن أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية واللامعقول اللّذين يطبعان الخطابة عادة وبعيدا عن الإلزام والاضطرار اللّذين يطبعان الجدل. ومعنى ذلك كله أنّ الحجاج عكس العنف بكل مظاهره" (صولة وآخرون، د.ت، 298)

وعليه فموضوع الحجاج:

« L'objet de cette théorie est l'étude des technique discursives permettant de provoquer ou d'accroitre l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment » (Perlman, Tyteca, 1992, p05)

وغايته:

« Le but de tout argumentation, avons-nous dit, est de provoquer ou d'accroitre l'adhésion des esprits aux thèses qu'on présente à leur assentiment : une argumentation efficace est celle qui réussit à accroitre cette intensité d'adhésion de façon à déclencher chez audireurs l'action envisagée (action positive ou abstention), ou du moins à créer, chez eux, une disposition à l'action, qui se manifestra au moment opportun. » (Perlman Tyteca, 1992, p59)

هذا هو التعريف الصريح الذي اقترحاه المؤسّس من أجل المتلقي بالاعتماد على اللّغة/ الخطاب المعقلن بطريقة المنطق اللاصوري. وإذا كان (شايم) نعت تعريفه للحجاج بأنّه يهتمّ إلاّ بالأدوات الخطابية التّي ترمي إلى ميل كسب النفوس بالتقنيّة التّي تستعمل اللّغة فإنّ الأمر بعده مع (دكرو وأنسكومبر) قد ركزا الحجاج في بنية اللّغة ذاتها، ليصبح محلل الحجاج يحلّل اللّغة الحجاجية في ذاتها ولذاتها، وعليه فمفهوم الحجاج عنده: "هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب وبعبارة أخرى يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللّغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها، إنّ كون اللّغة لها وظيفة حجاجية يعني أنّ التسلسلات الخطابية محدّدة، لا بواسطة الوقائع (les fait) المعبّر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنّها محدّدة أيضا وأساسا، بواسطة بنية الأقوال نفسها ، وبواسطة

المواد اللّغوية التي يتمّ توظيفها وتشغيلها" ويصف (دكرو) أبحاثه رفقة (جون كلود أنسكومبر) والتي ينزّل الكلام فيها منزلة الإشهار يقول: "إنّ الأبحاث المتعلقة بهذا الأمر، وقد قمت بها صحبة جون كلود أنسكومبر وسميناها الحجاج في اللّسان، تطمح إلى مدّ هذه الأطروحة إلى مدى أوسع من المواضع المشتركة التي بوّبتها البلاغة. وحسب وجهة نظرنا، فإنّ كل ملفوظات لسان تأخذ وتقتلع معناها من جرّاء كونها تضطلع بدور من يلزم المخاطب باستخلاص صنف معيّن من النتائج، وإنّ كل كلام هو إشهاري في جوهره، وليس الكلام إشهاريا فقط لكونه يحمل بعض المعلومات التي تجدها تفرض بعض النتائج، إنّه إشهاري لأنّ قيمته الداخلية تطابق المتتالية التي يعلن عنها ذلك الكلام. إنّ ما يريد قوله هو ما يريد أن يجعل الآخر بقوله. هكذا تقدّم ملفوظاتنا ذاتها بمعزل عن كفاءتها في تأسيس برهنة، بوصفها أصل كل خطاب حجاجي أو استمرارا له" (الحباشة وآخرون ،2010، ص255).

ميشيل مايير منطلقا من حجاج بيرلمان ودكرو: يعلق الباحث (عبد اللّه صولة) على روافد نظرية الحجاج عند (مايير) فيقول: "مفهوم الحجاج عند (مايير) استخلص بعضه من مفاهيم المدرسة الفرنسية (بمن فيها من أعلام بلجيك مثل بيرلمان) فهو مسبوق إليه على وجه التبسيط والتعليم. أمّا بعضه الآخر فيكاد يكون من صنعه وكدّ ذهنه" (صولة، 2007 ص37) وسياقيا استفاد (مايير) من (بيرلمان ودكرو) وأعلام المنطق اللانسقي ونظرياتهم وتموقع في أثرهم؛ فكل الفلاسفة ونجوم العلم الذين يرومون إحداث منعرج يعودون إلى دراسة وتحليل تاريخ الظاهرة التّي ينعرجون عنها.

وعليه أودّ أن نتّفق بأنّ مايير فلسف الظاهرة الحجاجيّة لغويا وفق التحديدات المنطقية اللانسقية، فهو يثني على هذا التاريخ المنعرج عن الصورية ويستمر مبدعا. ولذلك نجد مايير يتابع ذكر الأعلام الذين ناضلوا من أجل هذا التحول وفي مسحه هذا نفهم مدى إرادة تموقعه ضمن هذا التاريخ قارئا مراجعا ومبدعا، هذا التاريخ يمتدّ من (فيتغنشتاين) مرورا بغرايس وأوستين وسورل وستراوسن وبيرلمان وصولا إلى (دكرو) الذي نعت الخطاب كله بأنّه إشهاري... (أسيداه وآخرون، 2010، ج05،ص15/14) ويعدّ (ميشال مايير) من بين نجوم المنطقيات اللاصورية الذين يسعون إلى مركزة اللّغة في المشهد المعرفي المعاصر، وبناء منطق على أساسها، فنجد هذا العالم مسك بعالمين يشتغلان في هذا الإطار هما برلمان ودكرو وربطهما أو شابكهما مع مفهومه للحجاج وقد وضّح مدى تشابكهما معه وفي الآن ذاته أعلن زاويته الجديدة الإبداعية يقول: "في مقابل هذا التقليد الأنكلوساكسوني الذي يثابر في إثر فيتغانشتين، في تخليص فكرة اللّغة من هوسها التركيبي، لوحظ نشوء مدرسة فرنسية خالصة- أضم إليها البلجكيين أيضا- تهتم بالعلاقات بين المظهر والمضمر؛ علاقات ستسمّى تداوليات أو دلاليات مندمجة أو حجاجا. لكن الحد الأخير يعدّ أكثر ملائمة، لأنّه يغطي

مقولات ظهرت وتمكّنت في إشكال مخالف ، إنّ الحجاج هو دراسة العلاقة القائمة بين القول المظهر والقول المضمر. ويبدو لي هذا التعريف مناسبا أكثر من أي تعريف آخر يمكن تقديمه. **ويخصّص بيرلمان الحجاج باعتباره ما:** "يستغرق كل حقل الخطاب الذي يهدف إلى الإلزام والإقناع أيا ما تكون السامعة التي يتوجه إليها ، وأيا ما يكون الموضوع الذي يتناوله". إنّه لواضح أنّ الإلزام والإقناع ليسا إلّا نتيجتين لعلاقة المظهر والمضمر ، تلكم العلاقة التّي يحدّدها بيرلمان تبعا لعلاقتها بالآخرين ، وبحسب هذا الضم ، فإنّ البلاغة تصبح صيغة من صيغ الحجاج ، ويصبح دور المكون البلاغي كما عند دكرو كامنا في البحث داخل المقام عن العناصر القابلة لملء الخانات الفارغة المسجلّة في دلالة الجملة ، وفي القيام بذلك حسب التعليمات القابلة للقراءة في تلك الدلالة... وهكذا يكون التأويل البلاغي هو حساب قيمة الدالة ، بعد تعرف قيمة الموضوع. والواقع ، أنّ هذه العلاقة على النحو الذي يصفها به دكرو ليست علاقة بلاغية ، لأنّه لا وجود لأي إشارة تخصّ إرادة إقناع الغير. زد على ذلك أنّ الأمر يتعلق بوجود مسبق لأطروحة خاصة في الحجاج تقضي بوجود مؤشر حجاجي في المعنى الحرفي للجملة يستدعي ما يوجد مضمرا في السياق للإيحاء بنتيجة مقنعة أو غير مقنعة" (أسيداه وآخرون ، 2010 ، ج05 ،ص25/24) ويستطرد مايير شارحا هذا النص بنص أكثر خصوبة ويتسق مع سابقه ، فيوضح فيه أنّ غايات (بيرلمان ودكرو) هو ما تتزيا به نظريته: "ها نحن أولاء الآن إزاء وجهة نظر مغايرة في العلاقات بين ما هو مضمر وما هو مظهر ، متسقة مع تلك التي عرضت في الفقرة السابقة ، إن لم نقل متكاملة معها ، وهي بدورها غاية في الثراء والخصوبة... لقد وقفنا عند بيرلمان على تصور للنتيجة باعتبارها إذعانا (المضمر) لدعوى استنادا إلى قيم السامعة ، ثمّ يتم بسطها على مستوى الحجة (المظهر). ويتضمن المظهر عند أنسكومبر ودكرو على المستوى اللّغوي نتيجة تقبلها السامعة أو لا تقبلها . توحي بها المتغيرات الحجاجية المحايثة للجملة ، فالعلاقة بين المظهر والمضمر هي التّي تؤسس معقولية المظهر والقيمة الحجاجية ليست شيئا يضاف إلى المظهر ولكنّها على العكس من ذلك ، ما لأجله يقال المظهر على النحو الذي يقال به. وأمّا المضمر فليس مسألة مقتضيات فحسب ، يأخذها المتكلم في الحسبان ؛ بل إنّه ما يوحي به المظهر أيضا أو حتى نتكلم مثل غرايس مايستلزمه: أي ما يفرض الخطاب استنتاجه من واقع ما يقوله ومن السياق الذي أنجز فيه" (أسيداه وآخرون ، 2010 ، ج05 ،ص29/28) ، هذا الذي تحدثنا عنه هو ما يتقاسمه مع أعلام الحجاج خصوصا (بيرلمان ودكرو). أمّا الشرح الذي يكاد (مايير) يختصّ به في صياغته ، هو ربط اللّغة بالاستشكال أي بالسؤال والجواب. بل جعل اللّغة وحدة استشكالية. هذا هو التوجيه الجديد الذي هو من إبداعه والذي يصوغه في قانون يقول :" يمكن أن نصوغ القانون العام الآتي: بما أنّ الوحدة الأساسية للّغة هي الزوج سؤال/ جواب فإنّ استعمال اللّغة يحدّد دائما تبعا لها"

(أسيداه وآخرون ، 2010 ، ج05 ،ص32) ويحدث عن هذا التوجيه الجديد أربع نتائج (أسيداه وآخرون ، 2010 ، ج05 ،ص32):

- كل استعمال للّغة يمثّل جوابا عن مشكل ، حتّى عندما يتعلق الأمر بالتعبير عنه
- غاية اللّغة لا تتمثل في التعبير عن المشاكل بل في التعبير عن حلولها
- تقيم اللّغة حاجزا بين المضمر(الذي يكون عديم الصورة) والمظهر الذي له(صورة)
- عندما نجيب عن مشكل ما بالتعبير عنه ، فإنّ هذا الحل الجزئي الذي يستدعي على نحو صريح حلا مكمّلا يرسّم صوريا باعتباره حلا جزئيا.

ولذلك فمايير يبحث أو يفاوض المسافة الموجودة بين السؤال والجواب ، يقول بشأن المساءلة: "إنّ المساءلة هي أيضا الجواب وإذا ما ألفينا السؤال فإنّنا نلغي معه الجواب وإنّما المساءلة تكمن في ذلك الاختلاف بين ممارسة السؤال وامتدادات السؤال الحمّالة للأجوبة المتعدّدة" (القارصي وآخرون ، د.ت ، ص390)

هذا التوجيه هو الذي تتميّز به نظرية مايير عن باقي النظريات. وهو موقعة الحجاج في نظرية المساءلة العامة. وهذا التموقع هو الذي يقدّم نتائج جديدة بالنظر إلى الموقع الجديد.

إذا ؛ فقد حلّل (مايير) اللّغة في إطار نظرية المساءلة حتّى وصفها في قانون عام بأنّها وحدة استشكالية ، ويكمن الحجاج بالضبط في مفاوضة المسافة بين السؤال والجواب أو بين المظهر والمضمر. ويمكن السيطرة على معجمه الحجاجي في ثلاثة مصطلحات مجموعة في القول التالي: "إنّ السؤال هو العائق أو الحرج أو ضرورة الاختيار ، أي أنّه دعوة إلى اتخاذ قرار ، والبت في السؤال يتمّ بالإجابة عنه ، وهذا يستلزم أنّه لا وجود لسؤال دون جواب وأنّ الضرورة الداعية إلى السؤال التّي يمثلها هذا الجواب تحدّد اضطرارا سيرورة شاملة يحيل فيها أحدهما على الآخر. إنّ السؤال بما هو سيرورة للمساءلة ، هو دينامية مسار يتجه نحو الحل" (أسيداه وآخرون ، 2010 ، ج05 ،ص34/33). انطلاقا من هذا نقول ؛ إنّ المتابعة الضمنية للنظريات الحجاجية التي تتغيّا إحداث التوافق بينها باكتشاف قواسمها المشتركة. تكون متابعة تحلّلا لنتائج وتغض النّظر عن مراكز الانطلاق والمرجعيات. فالذي يحلّل النتائج يجد مواطن التداخل التّي تتفاوت بسبب التوجيه الإبداعي لأصحابها ، وعليه توجد نسبا كبيرة تتداخل فيما بينها من بينها أنّها تنهل من التشكل المنطقي اللانسقي ، وترتبط بخطابة وجدل أرسطو قديما ، وتحاول استخدام اللّغة جميعا في قالب حجاجي وأنّها كلها نظرية مبنية لأجل المتلقي ، ومتمركزة حول اللوغوس ، فمثلا مايير يشير إلى مواطن الاشتراك بصراحة ، ولا يمكننا أن نلوم دكرو- نظرا لنسقيته المحددة- على إشاراته القليلة لبرلمان ، إلاّ أنّ الاشتراك ضروري بينهما لأنّهما يحلّلان نفس الموضوع ولكن كل بطريقته ، ووجود الاختلاف العلمي الأنيق بين النظريات هو الأمر الايجابي— ولو لا هذا الاختلاف العلمي لما ازدهرت بحوث

الحجاج ولظلت تتحيّز لنفسها، ومن هنا صيغ التعريف العام للحجاج والذي (حاول كريستيان بلونتان) أن يقبض به على جميع النظريات يقول: "هو العمليّة التّي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللّغوية" (صولة ، د.ت ، ص350) فباللّغة/ اللوغوس/ الخطاب جمع الحجاج ، وأودّ أن تبقى البحوث الحجاجيّة ضمن نظريات متفرّقة من المبادئ المنهجيّة مجتمعة من حيث النتائج المتكاملة ونقصد بالنتائج المتكاملة تلك النتائج التّي تسدّ الثغرات المنظورية أو الزاوية التّي يتناول بها الحجاج ، وعليه فالمتأمل غير العميق يجد صعوبة هذا التشتت الايجابي.

خاتمة: الآراء القيمية المقبولة معاصرا أساسها التشكل المنطقي اللانسقي ، الذي يحاول استخدام اللّغة في قالب حجاجي. وكل الآراء مبنية لأجل المتلقي ، ومتمركزة حول اللوغوس ومسخرة من أجل صنع مواطن المعلومة والدعاية في إطار الاختلاف الذي أقرته الديمقراطية المعاصرة. فالاستعمال اللّغوي الحجاجي أصبح له أداء تنافسي في إطار أجهزة الميديا.

يشكل الاجتهاد اللّغوي الحجاجي المعاصر تربية لغوية ضروريّة للمواطن المفاوض من أجل الحرية والديمقراطية المعقلنة. وبتقنيّة المظهر والمضمر يملك أن يثير الاستبدادات الديمقراطية ويصنّف الأقوال والمعلومات المثارة في الفضاءات في إطارها المنطقي المقبول.

إنّ المهمّ الأهمّ الذي نستشفه من كل هذا ، هو أنّ العصر الحديث هو عصر التفاوض وتقريب وجهات النظر ، وتقليص الهوّة بين الاختلافات ... ، ونستطيع أن ننعت هذا العصر بأنّه عصر ملكية الحجّة والمعلومة وتسيّيرهما. كيف ذلك وأنّ المعلومة أصبحت ملك الجميع بسبب كثرة النقاشات التّي طوّرتها وسائل الميديا. وكملاحظة إن قديما أو حديثا ، فإنّ عنصر السيطرة أو التملك والتفوّق بالحجج ، بل النجومية الحجاجية- مهما كانت الأسباب المؤدية إلى ذلك - هو السبب في الصراع بين بنو الإنسان ، ولكن الغاية لا تبرّر الوسيلة ، فإذا انتشرت المغالطة والتوهيمات في إقناع الناس ، فإنّ الأمر لا نجده يختلف عن الردع بالقوّة التّي كان يمارسها الطغاة من أجل تملّكهم ونجوميتهم. لذلك فالضرورة المعاصرة هي ضرورة المنطق الحجاجي الذي مازال يحتاج إلى التنميّة.

المراجع العربية:

إسماعيلي علوي ، حافظ(محرر) (2010) **الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة** ، الأردن: عالم الكتب الحديث.

إسماعيلي علوي ، حافظ.(محرر) **الحجاج والاستدلال الحجاجي دراسات في البلاغة الجديدة** (ص ص65- 75). الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

بورديو ، بيير.(2004).**التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول** ترجمة(درويش الحلوجي). مصر. دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية.

بيرلمان ، شايم. تيتيكا ، أولبريخت. (دون تاريخ). **مقدمة كتاب مصنف في الحجاج.** ترجمة إسماعيلي علوي.

بيرلمان ، شايم.(1986). **المنطق الصوري والمنطق غير الصوري.** ترجمة(أسامة المتني).
الحباشة صابر (محرر) (2010) **لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية** . سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع.
الخطابي ، عزالدين.(2011). **في الحاجة إلى حوار فلسفي أو من أجل عقلانية تواصلية وحجاجية.**
دكرو ، أوزوالد. (1980). **السلالم الحجاجية.** ترجمة(صابر الحباشة).
دكرو ، أوزوالد.(دون تاريخ). **مقدمة كتاب السلالم الحجاجية.** ترجمة(صابر الحباشة).
شارودو ، باتريك.(2011). **الحجاج وإشكال التأثير**. ترجمة(ربعة العربي). في إسماعيلي
صمود حمادي ، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. في سلسلة آداب كلية الآداب منوبة. تونس: المطبعة الرسمية تونس
صمود ، حمادي. (دون تاريخ). **مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح.**
صولة ، عبد اللّه. (2007). **الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية.** (الطبعة 02). لبنان. دار الفارابي.
طه ، عبد الرحمان. (2013). **الحوار أفقا للفكر.** لبنان. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
طه ، عبد الرحمان.(دون تاريخ). **التواصل والحجاج.** في سلسلة الدروس الافتتاحي. الدرس العاشر. المملكة المغربية: دار المعارف الجديدة.
علوي ، حافظ(محرر) (2010) **الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة ،** الأردن: عالم الكتب الحديث.
علوي ، حافظ.(محرر). **الحجاج والاستدلال البلاغي دراسات في البلاغة الجديدة.** الأردن: دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.
القارصي ، محمد علي. (دون تاريخ). **البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار.**
لوبروتون ، دايفيد. (1997). **انثروبولوجيا الجسد والحداثة** ترجمة(محمد عرب صاصيلا). (الطبع 02). لبنان. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
مايير ، ميشيل. (1982). **اللّغة والمنطق والحجاج.** ترجمة (محمد أسيداه). في إسماعيلي
المراجع باللّغة الفرنسية:
Perelman, Ch, Tyteca, L, O, (1992). Traité de l'argumentation, 5ème Ed. Bruxelles : Editions de l'université.